ضحايا أبرياء

مدمن مخدرات فقد حنان الأبوة وتنكر للعشرة، فزاد مرة في الجرعة، فأقدم على قتل زوجته فاطمة وابنته سلمى وعمرها سبع سنوات وابنه محمد وعمره خمس سنوات، وقطع يد ابنه الصغير الذي عمره ثلاثة أشهر ، ومن ثم قام بالتمثيل بجثثهم، وتقطيع أجزاء من أعضائهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، أيعقل هذا التصرف؟! وهل يتأتى من إنسان به عقل؟! تُرى من السبب وما جرم هؤلاء الأبرياء؟! لك أخي أن تتساءل: كيف كان شعور هذا الرجل بعدما فاق من نشوة السكر؟! إنه مات موتتين قبل موتة القصاص، فأولها موتة فراق رفيقة الدرب وشريكة العمر، وكذلك ذبول زهرة الحياة وجمارة الكبد وهم الأطفال، والثانية موتة انتظار السيف، والثالثة زهوق الروح، والأعظم من ذلك كيف يلاقي ربه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذه ضحية أخرى من ضحايا المخدرات، تشرق الشمس في الصباح فيكون الناس على موعد مع النور والضياء إلا هذه الزوجة المسكينة وأطفالها، فهم على موعد مع زائر آخر إنه قريب لكنه شبح إنه زوجها، دخل دون إحساس ولاشعور ولا شفقة ولا رحمة، انزوت هي وأولادها في زاوية من زوايا البيت الذي سجَّل فصول المأساة أقبل عليها، فرأت الشيطان في عينيه، وشمت رائحة الموت تنبعث من أنفاسه، توسلت إليه بعدما ضربها أمام أطفالها، بكوا لكن البكاء لا يجدي هذه المرة، قاومت الزوجة شدة الضرب، والأطفال يقاومون ، تقطع نياط القلب، لكن الضعيف سيعجز عن المقاومة، بكت

المسكينة وبكت ، وهو لا زال ينهال عليها ضربًا وبكل جنون، حاولت الهرب ولكن أين المفر، إنها لا تقوى على الحراك، حاولت جاهدة أن تمسح دمعات أطفالها وتلامس براءة أجسامهم لكن الصاعقة مزقت الحشا فأسلمت الروح إلى الباري، انكب الأطفال أماه أماه، عبثًا تحاولون لقد تخطفتها يد المنون على يد أب عربيد مجنون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إن اللسان يتلعثم وهو يسوق مثل هذه القصص، وإن القلب يكاد يقف عن النبض وهو يتجرع تلك الغصص.

يا صاحبي ماذا جرى أوَما ترى ما قد أرى
إني دهشت لمشهدٍ من عجبه يبكي الورى

بعد هذه القصص إني لأستغرب من امرأة تعلم أن زوجها مدمن مخدرات وتعيش معه قريرة العين، تستر عليه وتؤويه. نعم الستر مطلوب ودرء المفسدة مرغوب، ولكن إلى متى الستر إنه ينقلب إلى تستر؛ لأن هذا الزوج وبال على المجتمع بأسره.

وهذه ضحية وليست أي ضحية، إنها أمٌ تحكي مأساتها بالدموع، يروي هذه القصة أحد الدعاة فيقول: قالت الأم: توليت تربية ولدي تربية صالحة ولم يكن يعرف إلى غير المسجد والعمل طريقًا، ومن خلال دخوله وخروجه من العمارة التي نسكن فيها كان يمر على أحد الأدوار التي يسكن فيه مجموعة من الشباب المنحرفين، فأخذه دافع الخير والنصح لهم فطرق عليهم الباب ، وحثهم على الصلاة، فطلبوا منه أن يمر عليهم فرضًا غير هذا ليتهيئوا، وفعلاً جاءهم فطلبوا منه أن يقعد وينصحهم حتى وقت إقامة الصلاة ففعل،

ومع مرور الأيام حان وقت الإقامة مرة فطلبوا منه أن يصلي بهم في نفس السكن المشحون بالحشيش والمخدرات والروائح الكريهة، فما كان منه إلا أن انساق معهم في جلساتهم وسهراتهم وتضييعهم للصلاة.

فأصبح مدمنًا للمخدرات، وتمضي الأم قائلة: لاحظت تغيرًا جذريًا واضحًا في حياته، سهرٌ إلى الفجر، وتضييعٌ للصلاة، فنصحته ووجهته وكان يدعي أنه يذهب إليهم ليرشدهم، فانجرف معهم أيما انجراف حتى إني بدأت أخاف على نفسي، وفي ليلة من الليالي جاء في وقت متأخر وطرق الباب بقوة، نظرت من ثقب الباب فإذا به قد أرعد وأزبد وأخذ يرجف الباب كالوحش ، ولكن لم يستطع الدخول، ثم انقطع صوته فأشفقت عليه وأنستني رحمة الأمومة وحنانها ذلك كله، فما كان مني إلا أن فتحت الباب فإذا به مختبئ خلفه، ثم أخرج سكينًا معه ، وقام بدفعي بقوة، فظننت أنه يريد قتلي ، ويا ليته أراد ذلك، فالموت أحب لي مما ينوي، حاولت التهرب منه فإذا به يمزق ثيابي حتى أصبحت عريانة فعرفت أنه يراودني عن نفسي، قمت بكامل قوتي المتهالكة لرفعه ، ولكن لم أستطع أمام وحشية الإدمان والشباب العنفوان، ذكرته بالله، خوفته بعذاب الله، قلت: أمك حملتك،أرضعتك، سهرت لأجلك، أعطيتك، ربيتك خُذ كل شيء ، ولكن ما كان منه إلا أن غلبته نفسه وهواه والشيطان والإدمان ، فقام ففعل بي الزنى، لا إله إلا الله ، إيه يا قلب تقطع، ويا نفس موتي، ولا يحدث بك ما رأيت، فحسبي الله ونعم الوكيل.

وهذه مأساة أخرى، رجل أدمن على المخدرات فوقع ضحية

افتراسها، وأنشبت فيه مخالبها فلا يستطيع العيش بدونها، فقد الرجولة والنخوة والمروءة، وذات يوم انتهى الحشيش الذي يملكه وإذ برفيقه المروج والممون له ولغيره من الفسقة يطرق الباب، فأدخله وطلب منه حشيشًا ، فاستغل المروج تلك الفرصة فقال: ماذا تعطيني؟ وكم تدفع؟ فقال الرجل: أعطيك ما تريد المهم أن تعطيني حشيشًا، وفي هذه اللحظة تدخل بنت الرجل صاحب البيت وعمرها سبع سنوات لتقدم العصير لأبيها وللضيف المجرم، فقال المروج: أريد هذه البنت، ما الذي جرَّأه على ذلك؟! إنه الأب فاقد العقل، الديوث بسبب المخدرات، فقام الأب وأمسك بنيته المسكينة وخلع ثيابها وكتفها وهي تصيح يا أبي: إني بنتك، وقام الضيف ففعل الفاحشة بها، ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾ [التكوير: ٨، ٩].

وهذه ضحية أخرى نشرت قصتها جريدة الجزيرة في عددها الصادر في يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر رجب من عام ١٤٢٣هـ.

سادت الدهشة والذهول والخوف سائر أرجاء تلك المحافظة التي عاشت تفاصيل المأساة، وهي حادثة القتل الشنيعة التي ارتكبت في الصف الأول من المسجد وأمام محرابه. فبينما كان الجميع يستمعون إلى خطيب المسجد بعد أن بدأ الخطبة في أحد المساجد، دخل شاب يبلغ من العمر اثنين وأربعين عامًا، ليتقدم ويجلس بجوار والده الذي كان يجلس في الصف الأول من المسجد وأمام محرابه حيث اعتاد أن يذهب إلى الصلاة باكرًا.

كان الوضع لدى المصلين يعتبر عاديًا، فلا ضير أن يجلس ابن بجانب والده في المسجد، خاصة وأن الأب كبير في السن والابن في سن الشباب، فلعله يريد أن يساعده بعد الانتهاء من الصلاة ويقوده إلى منزله، لكن المفاجأة التي هزت كل من حضر أو سمع، أن يقتل ابنٌ أباه في بيت الله، كانت المفاجأة أن أخرج الابن سكينة من جيبه محتضنًا أباه وكأنه يودعه الوداع الأخير، موغلاً السكين في ظهر أبيه، بثلاث طعنات نافذات، أودت بحياته في الحال، وأنهت تفاصيل أكبر عقوق.

بعدها حاول الابن المجرم العاق الجاني الهروب من المسجد ، لكن أحد المصلين تصدى له وأمسك به وقام بتسليمه إلى الشرطة، وبعد التحقيق وُجد أن الجاني مدمن مخدرات، وقد سبق وأن فُصِلَ من عمله بسبب ذلك، فيا لها من فاجعة كبيرة، ويا لها من حسرة عظيمة.

هذه القصص أمثال، ولا زال الكثير في البال، ولكن يكفي من القلادة ما يحيط بالعنق، ومن السوار ما يستدير على المعصم.

كان الله في عون من قاسى حرارتها، وتلظى بجحيم مرارتها، إن الواقع مؤلم، وما خفي كان أعظم.